برنامج الخاتمة - الحلقة (137) **- اعرف امامك** (ج36)

صحائف العقيدة السليمة - القسم(30)

الصحيفة (5) **- شؤون عقيدة التوحيد** (ق6)

الشأن (2) **- اركان عقيدة التوحيد** (ج5)

الركن (2): **التوحيد في آفق الحقيقة المحمدية** (ق1)

-ان اللّه تبارك وتعالى خلق اسماً...

-التوحيد فكرة عن اللّه نأخذها من المعصوم

الاربعاء : 6/**شوال**/1442**هـ - الموافق** 19/5/2021**م**

وصلتُ بكم إلى الركن الثاني من أركانِ عقيدتنا التوحيدية: إنَّهُ التوحيدُ في مستوى في أفقِ الحقيقةِ المُحَمَّدِيَّة.

هناك من يطرحُ سؤالاً أو رُبَّما يُثيرُ إشكالاً حينما أستعملُ هذا المصطلح، أيُّ مُصطلحٍ؟ إنَّهُ مصطلحُ (الحقيقةِ المُحَمَّدِيَّة)، ما هو هذا السؤالُ؟ ما هو هذا الإشكالُ؟

فإنَّهُ يقول: هذا المصطلحُ من مصطلحاتِ ابن عربي الصوفي، ابنِ عربي الأندلسي، إنَّهُ مُحيي الدين ابن عربي الصوفيُّ المعروف، والَّذي يتَّخذهُ عرفاءُ الشيعةِ إماماً في عرفانهم، وفي عقيدتهم.

أُجيبُ على هذا الإشكال، هذا التساؤل:

أولاً: بإمكاني أن استعمل مصطلحاتٍ أخرى:

-الصادرُ الأوَّل.

-المخلوقُ الأوَّل.

-النورُ الأوَّل.

-الكلمةُ الأولى.

-الروحُ الأولى.

هناك مجموعةٌ من العناوينِ ومن المصطلحاتِ وردت في رواياتهم وأحاديثهم الشريفة، لكنَّني أستعملُ هذا المصطلح لوضوحه، فهو مُصطلحٌ واضحٌ ومُباشرٌ ومُباشرٌ جداً، وهذا المصطلحُ صحيحٌ من أنَّهُ يتحدَّثُ عن أعمق المعاني، لكنَّ السَّامِعَ حينَ يصلُ هذا المصطلحُ إلى مسامعهِ ينطبعُ معنىً إجماليٌّ صحيحٌ في ذهنهِ، وهذا هوَ الَّذي نقصدهُ في التعليم الصحيح، في التبليغ الصحيح، في الإعلام الصحيح، فأنا في مقامِ عرضِ العقائدِ وعرضِ المعارف، علَيَّ أن أختارَ المصطلحاتِ الواضحةَ والواضحةَ ولو بقدرٍ إجماليٍّ عندَ الجميع، فحينما أريدُ أن أضعَ العقائد بينَ أيديكم لابُدَّ أن أستعملَ المصطلحاتِ الواضحة البَيِّنة، وأتجنَّبَ ما لا يكونُ واضحاً ولا تكونُ المعاني بسببهِ ليست جليَّةً، لهذا السَّبب إنَّني استعملُ هذا المصطلح.

صحيحٌ أنَّ ابن عربي استعمل هذا المصطلح في كتبهِ، ولربَّما شاعَ هذا المصطلحُ بسببِ عُرفاءِ الشيعةِ الَّذينَ تأثَّروا بكُتبِ وبفكرِ وبتصوّفِ ابنِ عربي، هذهِ قضيَّةٌ حقيقيةٌ، ابنُ عربي الصوفي استعمل هذا المصطلح بوضوحٍ وبكثرةٍ في كُتبهِ، وشاع في أوساطنا بسببِ تأثُّرِ عُرفاء الشيعة بفكرِ هذا الصوفي، وشاعَ هذا المصطلح وانتشر هذا العنوان في وسطنا من هذهِ الجهة.

إذا كانَ المصطلحُ واضحاً، وكانَ المصطلحُ صريحاً، ألفاظهُ جميلةٌ، دلالتهُ جميلةٌ وواضحة، فليسَ هناكَ من ضَيرٍ من استعمالِ هذا المصطلحِ وهوَ يرتبطُ بحقيقةِ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، فابنُ عربي لا يملكُ مُحَمَّداً وآلَ مُحَمَّد، وما هو بالمتفرِّدِ بملكيةِ معارف الدين، حتَّى يكون هذا المصطلحُ مصطلحاً خاصاً به، وحتَّى لو كانَ كذلك فنحنُ في مقامِ العلمِ والتعليمِ والتبليغِ والإعلامِ والصَّدعِ بالحقِّ نحنُ بحاجةٍ إلى المصطلحاتِ وإلى العناوينِ الَّتي تكونُ واضحةً.

قد يقولُ قائلٌ: من أنَّ استعمال مُصطلحاتِ المخالفين بشكلٍ عام، لا أتحدَّثُ عن مُخالفي سقيفةِ بني ساعدة، عن المخالفين بشكلٍ عام وخصوصاً في المعارفِ الدينيَّةِ، وبشكلٍ خاصٍ في العقائدِ، وبشكلٍ أخص فيما يرتبطُ بعقيدتنا بِمُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ صلواتُ اللّهِ وسلامهُ عليهم أجمعين.

أقول: هذا الكلامُ صحيحٌ وصحيحٌ جِداً، ولكن إذا كانَ لتلك المصطلحاتِ من اِسقاطاتٍ سيئةٍ، من اسقاطاتٍ مُنافرةٍ لثقافتنا وعقيدتنا، ما نحنُ نستعملُ المصطلحاتِ من كُلِّ العلومِ؛ من الفلسفةِ، من العرفانِ، من التصوّفِ، من علم

المنطقِ، من علم الكلامِ، من علم الرياضياتِ، من علم الفيزياءِ، من علم الألكترونيك، مِن ومِن ومِن، المصطلحاتُ هي عناوينُ موجزةٌ إذا كانت مفهومةً بشكلٍ واسعٍ عندَ جميع المتلقين، أو عندَ أكثرهم فهذا سيُساعدُ في إيصال المعلومةِ الصحيحةِ بسهولةٍ ويُسر، قطعاً هذا الكلامُ كُلُّهُ إذا كانَ هذا المصطلحُ فعلاً هو من المصطلحاتِ الخاصةِ بابن عربي، هذا أولاً.

وثانياً: هذا المصطلحُ في بُنيتهِ اللفظيةِ مُصطلحٌ جميلٌ (الحقيقةُ المُحَمَّديةُ)، فكُلُّ شيءٍ لهُ حقيقةٌ، والمُحَمَّديةُ هي حقيقةٌ، والمُحَمَّديةُ منسوبةٌ إلى مُحَمَّدٍ صلَّى اللّهُ عليه وآله، البُنيةُ اللفظيةُ جميلةٌ وجميلةٌ جِداً، حقيقةٌ ومُحَمَّديةٌ.

وأمَّا الدِلالةُ: فإنَّنا قطعاً نستعملُ هذا المصطلح في المضمون الَّذي نأخذهُ من قُرآنهم المفسَّرِ بتفسيرهم، ومن حديثهم المفهَّمِ بتفهيمهم، لا شأن لي بما يفهمهُ ابنُ عربي، لا شأنَ لي بما يفهمهُ المتصوِّفةُ من هذا المصطلح، ولا شأنَ لي بمقاصدهم حينما يُطلِقون هذا المصطلح، وكذلكَ بالنسبةِ لعُرفاءِ الشيعةِ أو لغيرهم من فلاسفةِ وعُلماءِ الشيعة، لا شأن لي بهم إذا ما استعملوْا هذا

المصطلح، ولا شأن لي بما يفهمونهُ وبما يقصدونهُ حينما يستعملونَ هذا المصطلح.

-هذا مصطلحٌ جميلٌ في تكوينهِ اللفظي.

-وأمَّا في التكوينِ المعنوي: فإنَّنا نأخذ المعنى من قُرآنهم المفسَّرِ بتفسيرهم، ومن حديثهم المفهَّمِ بتفهيمهم صلواتُ اللّهِ عليهم.

ومع كُلِّ ذلك فإنَّ ثقافة العترة الطاهرة علَّمتنا: "من أنَّهُ مَا مِن حَقٍّ فِي أَيدِي النَّاس إِلَّا وَقَد خَرَجَ مِن عَلِيٍّ"، هذهِ ثقافةُ العترة، وهذهِ أحاديثهم، وحينما يتحدَّثون عن أيِّ حقٍّ في أيدي الناس لا يتحدَّثون عن الحقِّ الَّذي انتشر بين النَّاسِ مُنذُ زمانِ عليٍّ وإلى يومنا هذا، إنَّهم يتحدَّثونَ عن كُلِّ حقٍّ في أيدي النَّاسِ منذُ زمانِ أبينا آدم وإلى يوم القيامةِ، فإنَّهُ ما من نبيٍّ نُبئ إِلَّا بنبوَّةِ مُحَمَّدٍ وعليٍّ والأَئِمَّةِ من بعده، الأَئِمَّةُ من بعدهِ أوَّلهم فَاطِمَة وآخرهم القائم، فما من نبيٍّ نُبئ إِلَّا وقد نُبئ بنبوَّةِ وإمامةِ وولايةِ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد صلواتُ اللّهِ وسلامهُ عليهم أجمعين.

وفي أحاديثنا أيضاً في ثقافةِ العترة الطاهرة: "مَا مِن حَقٍّ فِي أَيْدِي النَّاس إِلَّا وقد خَرجَ مِن هَذا البَيْت"، من بيتِ مُحَمَّدٍ وعلي وفَاطِمَة وأبناءِ فَاطِمَة من المجتبى إلى القائم..

وحينما أُطلِقُ هذا المصطلح: (الحقيقةُ المُحَمَّدِيَّةُ)، فهذا كلُّهُ حقٌّ وكلُّهُ خيرٌ حتَّى لو أنَّ النَّاسَ أخذتهُ من ابن عربي وانتشرَ بيننا وفقاً لهذهِ الفرضيةِ، فإنَّ الفضل في هذا الحقِّ يعودُ لعليٍّ وآلِ عليٍّ، ما هي ثقافةُ العترةِ هكذا تقول، وهذا موضوعٌ بحاجةٍ إلى تفصيل.

ومع كُلِّ هذا فإنَّني لا أخذتُ المصطلحَ لا من ابن عربي، ولا من عُرفاء الشيعةِ، ولا من كُلِّ هؤلاء، هذا المصطلحُ إنَّني جئتُ بهِ من حديثِ مُتحدِّثٍ تحدَّث بهِ قبلَ الهجرةِ في العصر الجاهلي، النَّبيُّ كانَ موجوداً حينما تحدَّثَ المتحدِّثُ الَّذي أخذتُ منهُ هذا العنوان، وكانَ ذلكَ قبلَ بعثةِ النَّبي بأكثر من عشر سنوات بل تحدَّث هذا المتحدِّثُ قبل ولادةِ أميرِ المؤمنين.

من هو هذا المتحدِّث الَّذي استقيتُ منه هذا العنوان؟

ولربَّما ابن عربي استقى هذا العنوان في كُتبهِ منه، لا شأن لي بابن عربي، ولكنَّني استقيتُ العنوان من والدِ أميرِ المؤمنين من أبي طالبٍ صلواتُ اللّهِ عليه، إنَّهُ آخرُ أوصياء إبراهيم الخليل، وثقافتنا الَّتي هي ثقافةُ العترةِ الطاهرة تُحدِّثنا؛ (من أنَّ جميع أوصياء إبراهيم أنبياء)، فأبو طالب نبيٌّ صلواتُ اللّهِ عليه، لا تعبئوْا بما يقولهُ النَّواصب، هُم يتحدَّثون عن كُفرِ أبي طالب ومن أنَّهُ ماتَ كافراً، لماذا تعبئونَ بهم وتقولونَ ماذا سيقولون عنَّا؟!

الَّذي نقل لنا كلام أبي طالب أتعلمون من؟!

مُحَمَّدٌ المصطفى، فأنا أخذتُ هذا المصطلح من شفاهِ مُحَمَّدٍ المصطفى، وهو يُحدِّثنا عن عَمَّهِ أبي طالب، من هنا جئتكم بهذا المصطلح، أنا لستُ كعُرفاء الشيعة يذهبونَ إلى مزبلةِ ابن عربي ويأتونكم بكُلِّ قذارةٍ، ولستُ كمراجعِ حوزة الطوسي يذهبون إلى مزبلةِ سقيفةِ بني ساعدة ويأتونكم بكُلِّ قذارةٍ،

أنا آتيكم باللَّبنِ من ضَرعِ أُمَّه، قطعاً بقدرِ ما أستطيع، آتيكم باللبن من ضرعِ أُمَّه.

الروايةُ مُفصَّلةٌ ومُفصَّلةٌ جِداً نقلها لنا جابرُ بن عبد اللّه الأنصاري، عن رسول اللّه صلّى اللّهُ عليهِ وآله، عن أبي طالبٍ صلواتُ اللّهِ عليه، والدِ أمير المؤمنين، وكانَ هذا الكلامُ الَّذي تكلَّم بهِ أبو طالب كما قلتُ لكم قبل الهجرة، بل قبلَ البعثةِ، بل قبلَ ولادةِ أمير المؤمنين صلواتُ اللّهِ وسلامهُ عليه.

الروايةُ نقلها بتفاصيلها الفتَّالُ النيسابوري في كتابهِ (روضةُ الواعظين)، الفتَّالُ النيسابوري قُتِل سنة (508)، قتلهُ حاكم نيسابور.

والروايةُ نقلها الشيخُ المجلسي في الجزء الخامسِ والثلاثين من (بحار الأنوار)، طبعةُ دارِ إحياء التراث العربي / بيروت - لبنان / الروايةُ تبدأ من صفحة (10) إلى صفحة (16) روايةٌ طويلةٌ مُفصَّلة.

أذهبُ إلى موطن الحاجةِ: صفحة (12)، رسول اللّه يُحدِّثُ جابراً الأنصاري، عن تفاصيل ووقائع إلى أن دعا أبو طالب بهذا الدعاء، فقال، هذا الكلامُ من شفاهِ رسول اللّه يُحدِّثنا عن عمّه أبي طالب: (إلَهِي وَسَيِّدِي أَسْأَلُكَ بِالْمُحَمَّدِيَّةِ الْمَحْمُودَةِ وَبِالْعَلَوِيَّةِ العَالِيَةِ وَبِالْفَاطِمِيَّةِ البَيْضَاءِ)، أَئِمَّةُ الأَئِمَّة، ما أنا قلتُ لكم حينَ حدَّثتكم عن إمامةِ فَاطِمَة، قلتُ لكم كُلُّ ثقافتنا، كُلُّ مُعطياتنا، كُلُّ معارفنا، كُلُّ ما عندنا في القُرآنِ وفي حديثهم يتحدَّثُ عن هذهِ الحقيقةِ عن أَئِمَّةِ الأَئِمَّة؛ (مُحَمَّدٌ، عَلِيٌّ، فَاطِمَة)، هذا دعاءُ أبي طالب في العصر الجاهلي قبل الهجرةِ قبل البعثةِ قبل ولادةِ أمير المؤمنين، هذهِ الحقيقةُ تتجلَّى إذا ما رجعتم إلى الروايةِ وقرأتم تفاصيلها ستعرفون من أنَّ أبا طالبٍ دعا بهذهِ الكلماتِ قبل الهجرةِ بل قبل البعثةِ وقبل ولادة الأمير.

وَبِالْفَاطِمِيَّةِ البَيْضَاءِ إِلَّا تَفَضَّلت عَلَى تِهَامَة - وتهامةُ هي الحجاز، قطعاً لا تُطلقُ على الحجازِ كُلِّه، إنَّها مكةُ وما حواليها، بالنتيجةِ تِهامَةُ عنوانٌ من عناوين الحجاز - إِلَّا تَفَضَّلَتَ عَلَى تِهَامَةَ بِالرَّأفَةِ وَالرَّحْمَةَ - رسولُ اللّه يقول صلَّى اللّهُ عليه وآله يُقسِمُ رسولُ اللّه: فَوالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَقَد كَانَت العَرَبُ - قبلَ البعثة وقبل الهجرة بعد أن نطقت شفاهُ أبي طالبٍ بهذهِ الكلمات بمسمعٍ من قريش وبمسمعٍ من العربِ، النَّبيُّ الأعظمُ يقول:

فَوالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ وَبَرأَ النَّسَمَةَ لَقَد كَانَت العَرَبُ تَكتُبُ هَذِهِ الكَلِمَات فَتَدْعُو بِهَا عِنْدَ شَدَائِدِهَا فِي الجَاهِلِيَّة وَهِي لَا تَعْلَمُهَا وَلَا تَعرِفُ حَقِيقَتَهَا - حقيقتها هي هذه؛ الحقيقةُ المُحَمَّدِيَّة، الحقيقةُ العَلَوِيَّة، الحقيقةُ الفَاطِمِيَّة. لماذا كانت العربُ تفعل هذا؟ لأنَّ بلاءً حلَّ في تهامة وما رُفِع هذا البلاء إلَّا بدعاءِ أبي طالبٍ بهذهِ الكلمات، فلما رأت النَّاس أنَّ البلاء دُفع عنها بكلماتِ أبي طالبٍ هذهِ، كتبوها وراحوْا يُرددِّونها عندَ شدائدهم وإن كانوْا لا يعرفون حقيقتها. تفاصيلُ هذهِ الواقعة ذُكرت في هذهِ الرواية الطويلة.

كانَ اللّهُ ولم يَكُنْ مَعهُ شَيء ثُمَّ تَكَلَّم بِكَلِمَة؛ إنَّها المشيئةُ الَّتي خلقها بنفسها.

-إنَّها النورُ الأوَّل.

-إنَّها الصَّادِرُ الأوَّل.

-إنَّها الخلقُ الأوَّل.

-إنَّها المخلوقُ الأوَّل.

-إنَّها الروح الأولى.

-إنَّها العرشُ الأوَّل.

-إنَّها اللوحُ الأوَّل.

-إنَّها القلمُ الأوَّل.

-إنَّها النون الأولى.

مصطلحاتٌ وعناوينُ كثيرة، يُمكننا أن نتلمَّسها في أحاديثهم الشريفة، لا أريدُ أن أقفَ كثيراً عندَ هذهِ العناوين وعندَ هذهِ المصطلحات، إلَّا أنَّنا سنستعملُ العنوان الَّذي وردنا على شفاهِ مُحَمَّدٍ صلَّى اللّهُ عليهِ وآله من عمَّهِ أبي طالب: إنَّها الحقيقةُ الـمُحَمَّديَّة.

الحقيقةُ الـمُحَمَّديَّةُ لها وجهٌ من حيثُ اللّه؛ هذا هوَ الَّذي استقرَّ في ظلهِ فلا يخرجُ منهُ إلى غيره، الاسمُ الأعظم الأعظم الأعظم الأعزُّ الأجلُّ الأكرم الَّذي خلقهُ سبحانهُ وتعالى واستقرَّ في ظلهِ فلا يخرجُ منهُ إلى غيره، هذا هو الوجهُ الَّذي استقر في ظلِّهِ فلا يخرجُ منهُ إلى غيرهِ، ونحنُ لا نملكُ إشارةً ولا عُنواناً ولا لفظاً، يُشيرُ إلى هذا.

قد يقولُ قائلٌ: فكيفَ نملكُ عنواناً ولفظاً وإشارةً تُشيرُ إلى اللّه، ولا نملكُ عنواناً ولفظاً وإشارةً تشيرُ إلى وجهِ الحقيقةِ الـمُحَمَّديَّة الَّذي استقرَّ في ظلِّ اللّه فلا يخرجُ منهُ إلى غيرهِ، كيفَ يكونُ ذلك؟ سيأتي الكلامُ فإنَّنا أيضاً في المقام الأتمّ للتوحيدِ حينما يكتملُ الحديثُ في أركان التوحيد الأربعة

سنصلُ إلى هذهِ النقطةِ: (من أنَّنا لا نملكُ لفظاً ولا صوتاً ولا إشارةً تُشيرُ إليهِ سُبحانهُ وتعالى)

-فلها وجهٌ إنَّهُ الوجهُ المصون، إنَّهُ السرُّ الإلهيُّ المُحَمَّديُّ المخزون، لها وجهٌ مُستقرٌّ في ظلِّهِ سُبحانهُ وتعالى حيثُ لا يخرجُ إلى غيره.

-ولها وجهٌ ظاهرٌ مُشرقٌ أشرقَ بصفحةِ الوجودِ وما عليها.

فهذا الوجود صفحةٌ أشرقت من ظاهرِ الحقيقةِ المُحَمَّديَّةِ وبعدَ ذلكَ رسمت الأسماءُ الحسنى الَّتي هي من مجالي ومظاهرِ الحقيقةِ المُحَمَّديَّةِ رسمت ما رسمت على صفحة الوجودِ ابتداءً من أعلى ما في الملأ الأعلى وانتهاءً إلى أسفلِ مراتب الخلقيات.

إنَّها سورةُ القلم؛

بعد البسملة في الآية الأولى من سورة القلم، أتعلمونَ أنَّ القلم هو اسمٌ من أسماءِ عليٍّ في ثقافة العترة الطاهرة، القلمُ؛ عليٌّ، هذهِ السورةُ سورةُ عليٍّ: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾، (ن) في ثقافة العترةِ: مُحَمَّدٌ صلَّى اللّهُ عليهِ وآله، هذا ما هو بشيءٍ من عندي، هذا تأويلهم، هذا تفسيرهم. (ن) هي الحقيقةُ المُحَمَّدِيَّةُ، فـ(ن) في لغة العربِ هي المحبرة، هي دواةُ الحبر، وفي الحبرِ هذا الَّذي هوَ في المحبرة كُلُّ الَّذي سيسطرهُ القلمُ على صفحة الوجود على صفحةِ هذا الكتاب، هناك كتابٌ أفاقيٌّ كتابٌ تكوينيٌّ، مثلما عندنا كتابٌ تدوينيٌّ، هذا كتابٌ تدوينيٌّ هو المصحف، مرَّ علينا في سورةِ الزُّخرُف، فماذا قرأنا في سورة الزُّخرُف، في الآيات الأولى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ - حينما يُسطَّرُ على الورق يتكوَّنُ عندنا مُصحفٌ يتكوَّنُ عندنا كتابٌ تدوينيٌّ، لكنَّهُ في الحقيقةِ هو انعكاسٌ لكتابٍ تكوينيٍّ في أعلى الرتب - وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ - ذلك هو الكتابُ التكوينيُّ الأصل - وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾.

"ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ"؛ القلمُ عنوانٌ لعليٍّ في تأويلهم، هذهِ رواياتٌ وأحاديثُ من أحاديثهم، إذا كنتم تستغربونَ هذهِ الثقافةَ المشكلةُ فيكم، وأساسُ المشكلةِ أولئك الغبران في النَّجف، إنَّهم أصحابُ العمائم الإبليسيةِ

القذرة، إنَّهم أصحابُ العمائم العباسيةِ الناصبية، إنَّهم أصحابُ العقولِ المعتزلية، إنَّهم أولئكَ الَّذين نقضوْا بيعة الغدير الـمُحَمَّديَّة. (ن) عنوانٌ للحقيقةِ الـمُحَمَّديَّةِ حيثُ كُلُّ الفيض، (الحبرُ) الأمثلةُ حسيةٌ وماذا سيصنعُ القرآنُ لنا؟! نحنُ بحاجةٍ إلى أمثلةٍ حسيَّةٍ تُوضعُ في قوالب لغوية؛ ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا - وُضِعت تلك الأمثلةُ الحسيةُ في قوالب عربيةٍ، لماذا؟ - لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُون - وإلَّا فإنَّ الحقيقة ليست كذلك - وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيم﴾، لعليٌّ حكيم؛ مرَّ علينا في دُعاء أبي طالب صلواتُ اللّه عليه سأل اللّه بالـمُحَمَّديَّةِ المحمودة وبماذا؟ وبالعَلَويَّةِ العالية في أُمِّ الكتاب هناكَ في أعلى العلو، في أُمِّ الكتابِ لعليٌّ حكيم، تلكَ هي العلويةُ العالية.

حين نتحدَّثُ عن التوحيدِ في أُفقِ الحقيقةِ الـمُحَمَّديَّةِ نتحدَّثُ عنها حيثُ كانت ولم يكن شيءٌ معها، بعد أن خلقها سبحانه وتعالى وبعد ذلكَ صدرت الأشياءُ منها، ولابُدَّ أن نعرف من أنَّ الحقيقة الـمُحَمَّديَّة من دونهِ سبحانهُ وتعالى تساوي صفراً، لأنَّها أساساً لم تكن موجودةً، لأنَّها أساساً كانت صفراً، وبعد ذلك وُجِدت (كَانَ اللّهُ وَلَم يَكُن مَعَهُ شَيء ثُمَّ تكلَّم بالكلمة)، بعد ذلك وُجِدت.

في أشرفِ مَثَلٍ ضَرَبَهُ في قرآنِهِ في سورة النور، مَثَلُ الْمِشْكَاة، وَمَثَلُ الْمِصْبَاح، وَالشَّجَرةِ الزَّيتُونة التَّي هي لا شرقية ولا غربية، ماذا جاء في هذا المثال؟: "يَكَادُ زِيْتُهَا يُضِيء، وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَار"، الأمثلةُ الحسيَّةُ تُقرِّبُ من وجهٍ وتُبعِّدُ من وجوه، لكنَّ اللّه قال هذا في قُرآنِهِ، هذهِ ما هي بروايةٍ حتَّى تجدوْا طريقًا إلى تكذيبها، "يَكَادُ زِيْتُهَا يُضِيء"، تلكَ الشَّجرةُ، وتلكَ الْمِشكاةُ، وذلكَ الْمِصباحُ، وتلكَ الحقيقةُ التَّي هي نورٌ على نور، "يَكَادُ زِيْتُهَا يُضِيء"، يكادُ من أفعال المقاربة، فإنَّ الآية هكذا تريدُ أن تقول لنا: إنَّ الحقيقة المُحَمَّديَّة لعلوِّ شأنها ولعظمتها، ولأنَّها مَجْمعُ كُلِّ جمالٍ وجلالٍ وكمال، ولأنَّ القدرة الإلهيَّة بتمامها تجلَّت فيها فكأنَّها تُوجَدُ بنفسها، تكاد أن توجد بنفسها من دونِ اللّهِ سُبحانهُ وتعالى، اللّه هو الَّذي يقولُ عنها، إنَّها أمثلةٌ حسيَّةٌ تُقرِّبُ من وجهٍ وتُبعِّدُ من وجوه.

"يَكَادُ زِيْتُهَا يُضِيء وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَار"؛ إنَّها نارُ القدرةِ الإلهيَّة، ونارُ الجبروتِ الإلهي، فهذا الزيتُ يكادُ أن يُضيء من عند نفسهِ، لماذا؟ لعظمةِ هذا الزيت، فهو بنحوٍ ذاتيٍّ قادرٍ أن يُشرِق نُوراً، فلأنَّ اللّهَ أودعَ كُلَّ شيءٍ في الحقيقةِ

المُحَمَّدِيَّةِ هو يقولُ عنها: "يَكَادُ زِيْتُهَا يُضِيء"، من دوني، تذكَّروْا فعل المقاربة؛ (يكاد ، يكاد)، يعني أنَّ ذلك ليسَ موجوداً في الواقع، ولكن هذهِ التعابيرُ تريدُ أن تُشعِرنا بعظمةِ وعُلو وجلالِ وسُبحانيةِ هذهِ الحقيقة المقدَّسة، إنَّها الحقيقةُ المُحَمَّدِيَّةُ العُظمى، فمثلما قلتُ لكم تساوي صفراً من دونهِ سُبحانه وتعالى لماذا؟ لأنَّها كانت صفراً كانت مسبوقةً بالعدم، ولكنَّها بتعبير القُرآنِ بحسبهِ سبحانهُ وتعالى لأنَّهُ قد وضعَ فيها كُلَّ شيء.

بعد هذهِ المقدِّماتِ التوضيحاتِ سأقرأ عليكم الحديث الَّذي أشرتُ إليهِ في الحلقةِ الماضية:

في الكافي الشريف / الجزءُ الأوَّل / طبعةُ دار الأسوة / طهران - إيران / كتابُ التوحيد / (بابُ حُدوث الأسماء) / صفحة (133)، بحسب الطبعة الَّتي بين يدي، الحديثُ الأوَّل: بسندهِ - بسند الكليني رحمةُ اللّهِ عليه - عَن إبراهِيمَ بنِ عُمر، عَن إمَامِنا الصَّادِق صلواتُ اللّهِ وسلامهُ عليه قَال: إِنَّ اللّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ اسْمَاً - دَقِّقوْا النَّظر الحديث عن اسمٍ مخلوق، (خَلَقَ اسْمَاً)، الحديثُ ليسَ عن اللّه في الأُفقِ الأوَّل، الحديثُ ليسَ عن الركنِ الأوَّل من أركان

التوحيد في عقيدتنا التوحيدية (كَانَ اللّه ولَم يَكُن مَعَهُ شَيء)، الحديثُ عن اسمٍ مخلوق خَلقهُ اللّه.

إِنَّ اللّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى - فهنا لفظةُ اللّه أُطلِقت على الذات الأولى القديمة ولكنَّكم ستلاحظون في هذا الحديث أنَّ لفظة اللّه ستُطلقُ على الحقيقة الـمُحَمَّديَّةِ أيضاً، وسيأتينا من أنَّها ستُطلقُ على الإمام المعصوم، ولكن كُلُّ إطلاقٍ بحسبهِ، سيأتي بيان كُلّ شيءٍ بالتدريج.

إِنَّ اللّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ اسْماً بِالحُرُوفِ غَيْرَ مُتَصَوَّتْ - لَيْسَ هناك من حُروف، لَيْسَ هناكَ من أصوات، لَيْسَ هناكَ من دِلالاتٍ وإشارات - وَبِاللَّفْظِ غَيْرَ مُنْطَقْ وَبِالشَّخْصِ غَيْرَ مُجَسَّد وَبِالتَشبِيهِ غَيْرَ مُوصُوف وَبِاللَّونِ غَيْرَ مَصْبُوغ، مَنْفِيٌّ عَنْهُ الأَقْطَار، مُبَعَّدٌ عَنهُ الحُدُود، مَحْجُوبٌ عَنْهُ حِسُّ كُلِّ مُتَوَهِّم، مُسْتَتِرٌ غَيْرُ مَسْتُور فَجَعَلَه - فَجَعَلَهُ سُبحانه وتعالى خلق اسماً بهذهِ

-فَجَعَلَهُ كَلِمَةً تَامَّةً - هذه هي الحقيقةُ الـمُحَمَّديَّة - فَجَعَلَهُ كَلِمَةً تَامَّةً عَلَى أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ مَعَاً لَيْسَ مِنْهَا وَاحِدٌ قَبْلَ الآخَر، فَأَظْهَرَ مِنْهَا ثَلاثَةَ أَسْمَاءٍ لِفَاقَةِ

الخَلْقِ إِلَيهَا، وَحجَبَ مِنْهَا وَاحِداً وَهُوَ الاسْمُ المَكْنُونُ المَخْزُون - هذا الَّذي ليسَ لهُ من إشارةٍ - فَهَذِهِ الأَسْمَاءُ الَّتِي ظَهَرَتْ - أَوَّلها أيُّ اسمٍ - فَالظَّاهِرُ هُوَ اللّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى - فهذا إطلاقٌ ليسَ على الحقيقةِ المُحَمَّدِيَّةِ وإنَّما إطلاقٌ على ما تجلَّى منها.

وَسَخَّرَ سُبْحَانَهُ لِكُلِّ اسْمٍ مِن هَذِهِ الأَسْمَاءِ أَرْبَعَةَ أَرْكَان فَذَلِكَ اِثنَا عَشَرَ رُكْنَاً، ثُمَّ خَلَقَ لِكُلِّ رُكنٍ مِّنْهَا ثَلَاثِيْنَ اِسْمَاً فِعْلاً مَنْسُوباً إِلَيْهَا - هذه تجليات الحقيقةِ المُحَمَّدِيَّة - فَهُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيْمُ المَلِكُ القُدُّوسُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ الحَيُّ القَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ العَلِيْمُ الخَبِيرُ السَّمِيْعُ البَصِيْرُ الحَكِيْمُ العَزِيْزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ العَلِيُّ العَظِيْمُ المُقْتَدِرُ القَادِرُ السَّلَامُ المُؤْمِنُ المُهَيِمِنُ البَارِئُ المُنْشِئ، البَدِيْعُ الرَّفِيْعُ الجَلِيْلُ الكَرِيْمُ الرَّازِقُ المُحْيِي المُمِيْتُ البَاعِثُ الوَارِث، فَهَذِهِ الأَسْمَاءُ وَمَا كَانَ مِنَ الأَسْمَاءِ الحُسْنَى حَتَّى تَتِمَّ ثَلَاثَمِئَةٍ وَسِتِّينَ اِسْمَاً فَهِيَ نِسْبَةٌ لِهَذِهِ الأَسْمَاءِ الثَّلَاثَة، وَهَذِهِ الأَسْمَاءُ الثَّلَاثَةُ أَرْكَان، وَحُجِبَ الاسْمِ الوَاحِدُ المَكْنُونُ المَخْزُون بِهَذِهِ الأَسْمَاءِ الثَّلَاثَة وَذَلِكَ قَولُهُ تَعَالَى: "قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَـنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى."

هذهِ الروايةُ وهذا الحديثُ الشريفُ يُحدِّثنا عن الحقيقةِ المُحَمَّديَّةِ وما تجلَّى منها من الأسماءِ الحُسنى، هذهِ الروايةُ تُخبرنا عن التوحيدِ في الأفقِ الثاني، إنَّهُ الركن الثاني من أركان التوحيد في أفقِ الحقيقةِ المُحَمَّديَّةِ الَّتي كانت ولم يكن معها شيء بعد أن خُلقت، الَّتي يكادُ زيتُها يضيء ولو لم تمسسهُ نار، هذهِ الروايةُ هي الَّتي طلبتُ منكم إذا كنتم قادرين أن تُهيئوْا نصَّها أن تُتابعوْا معي، فهناك الكثيرُ من المطالبِ غير الواضحةِ فيها سأعرضها بين أيديكم بالتفصيل في حلقةِ يوم غدٍ إن شاءَ اللّهُ تعالى.

برنامج الخاتمة - الحلقة (138) **- اعرف امامك** (ج37)

صحائف العقيدة السليمة - القسم(31)

الصحيفة (5) **- شؤون عقيدة التوحيد** (ق7)